علم نفس النمو Developmental Psychology

علم نفس النمو هو واحد من فروع علم النفس النظرية الذي يضع القوانين العامة لمظاهر النمو المختلفة، كما انه مفهوم متكامل تخصصي لا يتجزأ ولكن نحن نجزءه لغرض الدراسة والبحث والتفسير. ويتألف هذا المفهوم من الكلمات الثلاثة الآتية والتي سنوضح معناها :

علم / science : العلم بشكل عام معرفة منظمة لفئة معينة من الظواهر، تجمع وترتب عن طريق المنهج العلمي لغرض الوصول الى قوانين ومبادئ عامة لتفسير الظواهر والتنبوء بحدوثها.

نفس / self : هناك العديد من التعريفات للنفس او الذات وابسط هذه التعريفات: هو مجموعة العوامل الشخصية المميزة لسلوك الفرد في ضوء علاقاته بالمجتمع.

للاطلاع

وقد جاء ذكر النفس في عدة آيات قرآنية، ومنها : بسم الله الرحمن الرحيم ((سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق)) وفي قوله تعالى ((ولن يؤخر الله نفس اذا جاء اجلها)) وفي قوله تعالى ((لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة)) صدق الله العظيم، وفي علم النفس ندرس النفس او الذات او الإنا وليس لنا علاقة بدراسة الروح soul لانها من امر الله سبحانه وتعالى حيث جاء ذكرها في القرآن الكريم بسم الله الرحمن الرحيم ((ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم إلا قليلاً صدق الله العظيم . وعرفت النفس، على انها إدراك الفرد لذاته ومعتقداته حولها وتقيمه لها ومحاولاته لرفع شأنها او الدفاع عنها، وعرفت ايضا هي ما يطلق الفرد عليه أنا ، لي ، وهي صورة الفرد عن نفسه والوصف الكامل لها.

وعلم النفس / Psychology : هو العلم الذي يختص بدراسة سلوك الكائن الحي وما وراءه من عمليات عقلية، ودافعية، واتجاهاته ، وواقعيته ، واتجاهاته، وديناميكيته وآثاره ... وغير ذلك دراسة علمية يمكن على اساسها فهم وضبط السلوك والتنبؤ به والتخطيط له.

وطبعا هو يدرس الدوافع والرغبات والاتجاهات والميول والمهارات والانفعالات وغير ذلك من انواع السلوك.

والسلوك / Behavior : هو كل نشاط يقوم به ذلك الكائن سواء أكان ، اقوال، افعال، حركات جسمية، عقلية ، انفعالية ، اجتماعية، نتيجة لعلاقة دينامية وتفاعل بين الكائن والبيئة المحيطة به. والسلوك هو عبارة عن استجابة او مجموعة استجابات لمثير (منبه) او عدة تنبيهات معينة. ويجب التفريق بين السلوك على انه استجابة كلية وبين النشاط الفسيولوجي كاستجابة جزئية وعندما ندرس تطور السلوك في مظاهر النمو المتعددة هذا يعني اننا تحولنا الى فرع من فروع علم النفس المهمة وهو ((علم نفس النمو)) الذي هو موضوع دراستنا والنمو النفسي في الكائن الحي يشمل سلوك الانسان والحيوان.

وعلم نفس النمو / Development Psychology يدرس النمو منذ اللحظة الاولى للإخصاب مروراً بالولادة فالرضاعة والمهد ، والطفولة، والمراهقة ، والرشد، والشيخوخة... والكهولة، في المظاهر آنفة الذكر او غيرها، والنمو سلسلة متتابعة. وسنركز في دراستنا على مرحلتين مهمتين هي الطفولة والمراهقة بوصفكم طلبة كلية التربية ستصبحون مدرسين مستقبلاً ان شاء الله وستتعاملون اكثر مع هاتين المرحلتين.

يستفيد علم نفس النمو من العلوم الاخرى مثلما يفيدها، مثل علوم الحياة، الاجنة، الفسيولوجي، التشريح، الكيمياء، علم الاجتماع، علم الانسان الحضاري، وعلم الأجناس... وغيرها.

وإن موضوع علم نفس النمو هو دراسة سلوك الاطفال والمراهقين والراشدين والشيوخ ونموهم. ونقصد بالنمو منذ بداية وجودهم أي منذ لحظة الاخصاب الى الممات.

تعريف النمو :

النمو : سلسلة متتابعة متكاملة من التغيرات تسعى بالفرد نحو اكتمال النضج واستمراره، والنمو هو العملية التي تتفتح خلالها إمكانيات الفرد الكامنة وتظهر على شكل قدرات ومهارات وصفات وخصائص شخصية.

ومن خلال ذلك نستنتج التعريف الآتي **لعلم نفس النمو :** هو العلم الذي يختص بدراسة سلوك الكائن الحي منذ اللحظة الاولى للإخصاب الى الممات مروراً بالمراحل المتتابعة للنمو، الإخصاب، الجنين، الوليد، الرضيع، الطفل، المراهق، الراشد، الشيخ، الكهل في المظاهر المتعددة للنمو ومنها النمو الجسمي، العقلي، الانفعالي، الاجتماعي وما ينطوي تحت هذه المظاهر.

انواع النمو :

* **نمو في النوع :** يمثل التغير التقدمي في الاعضاء فأبسط مثال على التغير النوعي تغير الحيوان المنوي والبويضة الى جنين.

* **النمو أو التغير في العدد:** مثل التغير في عدد الاسنان، عدد الاسنان في الطفولة المبكرة يختلف عن عدد الاسنان في المراهقة، فأن الاسنان الدائمية تزداد عدداً (كماً) .

* **التغير في الحجم :** التغير في الوزن، في الطول، وتغير الشكل في كافة اعضاء الجسم.

هنالك مظهران رئيسيان يحددان الاتجاه في دراسة علم نفس النمو:

أ- النمو العضوي (التكويني): ويشمل دراسة النمو الجسمي من حيث الطول، الوزن، نمو اعضاء اجهزة الجسم المختلفة، النمو الحسي، كيف تنمو الحواس وكيف تتطور...

ب- النمو الوظيفي (السلوكي): ويشمل نمو الوظائف النفسية، والانفعالية، والاجتماعية وهكذا في مظاهر النمو المختلفة.

اهمية دراسة علم نفس النمو :

أ ـ الاهمية من الناحية النظرية :

1. معرفة علاقة الانسان بالبيئة التي يعيش فيها.
2. تحديد معايير النمو في كافة مظاهره وخلال مراحله المختلفة مثل معايير النمو الجسمي ، العقلي والانفعالي... في مرحلة ما قبل الميلاد ثم مرحلة الطفولة، المراهقة ، الرشد، الشيخوخة.
3. معرفة القوانين في الشهر الاول، الثاني... كجنين، الوزن الطبيعي عند الولادة، متى ينطق الطفل كلمته الاولى، ما هو عمر البلوغ الجنسي لدى البنات والبنين، كل ما ذكر هو محدد في علم نفس النمو والعلم مستمر في تحصيل المعرفة وتحديد القوانين.

ب- الاهمية من الناحية التطبيقية :

1. تساعد الاخصائي في فهم ومعالجة مشكلات الاطفال والمراهقين.
2. قياس مظاهر النمو المختلفة بمقاييس علمية تساعد في معرفة الشذوذ أو التخلف والتفوق.... وغير ذلك.

من هم المستفيدين من علم نفس النمو : تصدار فقط

1. **علماء النفس:** في اجراء البحوث العلمية لحل المشكلات النفسية.
2. **التربويين:** في مجال التربية والتعليم، معرفة خصائص الاطفال والمراهقين وفي معرفة العوامل التي تؤثر في نموهم واساليب سلوكهم وفي بناء المناهج وطرائق التدريس التي تناسب الاعمار والمستويات الذهنية وفي اعداد الوسائل التعليمية المناسبة في العملية التعليمية.

3. **الوالدين:** في معرفة وسائل التنشئة الاجتماعية المثلى وفي ترسيخ المبادئ الاخلاقية والدينية، إضافة الى المبادئ التعليمية الحياتية بما فيها الانفعالية والاجتماعية والتقاليدية والاعراف والطقوس وما الى ذلك.

4. **الافراد :** المعرفة بأن يحيا الافراد طفولتهم على احسن وجه ممكن حتى يبلغ اكمل رشد ممكن، فالفرد يعرف ذاته ويقدرها احسن تقدير ويعرف المجتمع ويعطي كل فرد من خلال التقويم السلوكي قيمة معينة ومحددة، ويأخذ الفرد دوره في المجتمع.

5. **المجتمع :** يعرف الفرد العلاقات الوراثية والبيئية، معرفة العلاقات في تكوينات الشخصية، الامراض الوراثية النفسية او البدنية... الانحرافات السلوكية الناتجة عن الوراثة او البيئة وكيف تحدث.

القوانين العامة للنمو :

النمو تحكمه عدة قوانين اساسية وحقائق ثابتة وقوانين عامة ويساعد فهم هذه القوانين الوالدين والمربين حيث يسهل عليهم التعامل مع الاتجاه الطبيعي للنمو، ويساعد في فهم كيف ينمو الافراد وماهية التوقيتات، وكيف يمكن التأثير في هذا النمو وصولاً الى افضل صورة، لذلك لابد من الاحاطة بالقوانين والمبادئ العامة للنمو، واليك عزيزي الطالب :

أهم القوانين الخاصة بالنمو :

1. النمو عملية مستمرة متدرجة تتضمن نواحي التغيير الكمي والكيفي والعضوي والوظيفي

يستمر النمو بالتطور بشكل تدريجي سواء أكان من حيث البناء الجسمي او التزود بالمعارف لأنواع الاستجابات المناسبة لكل تنبيه يتعرض له في بيئته خلال نموه، وقد اشرنا الى التغير الكمي في تزايد عدد الاسنان مثلاً في الطفولة المتأخرة وفي التغير الكيفي او النوعي في البويضة الى كائن عضوي. وان الطفل النامي يمر بمراحل قد يتجاوز مرحلة الى اخرى ولكنه لزاماً ان يكون مؤهلاً جسمياً ونفسياً الى المرحلة القادمة فهو يسير كما اشار الباحثون

والعلماء والخبراء الى الآتي : ان الطفل يجلس قبل ان يقف، ويناغي قبل ان يتكلم ويلفق قبل ان يصدق ويرسم دائرة قبل ان يرسم مثلث، وهو انانياً قبل ان يكون اجتماعياً ، وهو اعتمادياً قبل ان يستقل في كل مجالات الحياة.

2. النمو يسير في مراحل :

ان حياة الفرد هي وحدة واحدة مستمرة متصلة ولكن الباحثين والعلماء يجزؤونها الى مراحل لغرض البحث والدراسة لذلك نقول ان نموه يسير في مراحل تتميز كل منها بسمات وخصائص واضحة. وصحيح ان المراحل تتداخل بين البداية والنهاية ولكن الفروق المتتالية تتوضح بين منتصف كل مرحلة وما بين السابقة واللاحقة، وهنالك مصطلحات متعارف عليها في النمو ومنها، متأخر في النمو، او متقدم في النمو، أو مازال طفلاً او اصبح كبيراً قبل اوانه، وكل مرحلة لها خصائص نوعية تختلف عن الاخرى. وتفكير الطفل يختلف نوعياً وليس كمياً عن الراشد.

3. كل مرحلة من مراحل النمو لها سمات خاصة ومظاهر مميزة:

فعلى سبيل المثال اللعب عند الاطفال في مرحلة الرضاعة يختلف اسلوبا وتعقيداً ومنطلقاً ونوعاً عن لعب الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة، فلا يجوز ان يلعب طفل رياض الاطفال مثل الرضيع فهذا يعد تخلفاً... وهكذا بالتقدم بالعمر والتقدم بالذكاء وإذا اردنا ان نحسب نسبة الذكاء فهي كالآتي :

$$\text{نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times 100$$

4. سرعة النمو ليست مطردة :

ان النمو لا يسير على وتيرة واحدة، فمرحلة ما قبل الميلاد هي اسرع مراحل النمو ومعدل النمو فيها سريعاً جداً ويبطئ بعد الولادة ويسرع في مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة

وهكذا يستمر الاسراع والابطاء الى مرحلة المراهقة التي يظهر فيها سريعاً جداً ثم عدم التوازن الذي ينبغي ان يكون في مرحلة المراهقة التي هي اصلاً مرحلة غير متوازنة.

5. المظاهر العديدة للنمو تسير بسرعات مختلفة :

لكل مظهر (مجال) سرعة خاصة في النمو، وكل مظهر يختلف عن الآخر، فمثلاً الجنين قبل الميلاد ينمو بأقصى سرعة، والمخ يصل حجمه النهائي الناضج بين 6 و 8 اشهر قبل الميلاد، ولابد من الاشارة الى هنالك فرق بين العمر التشريحي والعمر العقلي ونبين بالمناسبة لغرض المعرفة ، ان العمر التشريحي هو Anatomical age والعمر العقلي Mental age والعمر الانفعالي Emotional age والعمر الاجتماعي Social .

6. النمو يتأثر بالظروف الداخلية والخارجية:

من الظروف الداخلية التي تؤثر على النمو الاساس الوراثي او الاستعداد الوراثي للفرد الذي يعد نقطة الانطلاق للنمو في كل مظاهر النمو وفيها الجسمي، العقلي، الانفعالي... وغير ذلك. ومن الظروف الخارجية التي تؤثر في النمو طبيعة المناخ مثلا، البعد والقرب عن خط الاستواء، نوع التضاريس الارضية المحيطة بالفرد النامي... ومن جانب آخر التغذية، النشاطات والتنبيهات المتاحة امام الطفل، اساليب التعليم ومستوى الثقافة ونوعها التي يتعرض لها خلال حياته.

7. الفرد ينمو نمواً داخلياً كلياً :

يبدأ النمو من الداخل، ففي المرحلة الجنينية مثلاً بعد الاخصاب تتكاثر الخلايا اولاً ثم تتخصص لاحقاً، ففي البداية (في نهاية الاسبوعين الاولين) يستطيع المجهر ان يكشف ثلاث طبقات اولية من الخلايا هي : الاديم الداخلي Indoderm هو طبقة الخلايا التي تنشأ عنها الغدد الهضمية وقناة الطعام (الامعاء والمعدة). والاديم المتوسط Mesoderm وهو طبقة الخلايا التي تنشأ عنها الاجهزة العضلية والعظمية والدموية. والاديم الظاهر او الخارج

Ectoderm وهو مجموعة الخلايا التي ستصبح فيما بعد مصدر الجلد والحواس والجهاز العصبي. وعموما يتكون الدماغ والقلب والامعاء والرئتين وغيرها الداخلية بشكل ابتدائي ثم لاحقاً تتكون الاجزاء الخارجية، وان السلوك كتلي يصدر عن اعضاء الجسم مجتمعة.

8. النمو عملية معقدة جميع مظاهره متداخلة تداخلاً وثيقاً :

ذات ترابط ايجابي والعلاقة وثيقة بين النمو الجسمي والعقلي مثلاً والنمو العقلي متداخل مع النمو الانفعالي وطرائق التعبير الانفعالي مختلف باختلاف الجنس والعمر الزمني كذلك العقلي ويتداخل النمو الحسي مع المستوى العقلي وهكذا فأن جميع المظاهر متضامنة والواحد يكمل الاخر او يطور الآخر على مستوى النمو والتطور في السلوك.

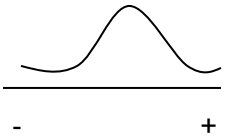

9. الفروق الفردية واضحة في النمو، وكل فرد ينمو بطريقة واسلوب خاص:

يتوزع الافراد توزيعاً اعتدالياً على المنحنى الطبيعي للنمو في جميع مظاهر النمو المتعددة وفي الاطراف شواذ، ولكل طفل مواعيده العامة في النمو وطبعاً هنالك بعض الفروق في الوزن مثلاً او الطول او مستوى الذكاء وغير ذلك فضلاً عن انه هنالك فروق بين البنين والبنات.

10. النمو يسير من العام الى الخصاص ومن الكل الى الجزء :

يسير النمو من المجمل الى المفصل فعلى سبيل المثال يستجيب الطفل في بادئ حياته استجابات عامة ثم تتخصص وتصبح اكثر دقة فهو يؤشر بكل يده الى الاشياء وبعد ذلك بأصبع واحد فقط ويتحرك بكل جسمه ليأخذ لعبته ثم يحرك يده فقط ثم اصبعين او اكثر وتظهر المهارات الخاصة والقدرات الخاصة في سن متأخرة لذلك ينصح في التعليم الطريقة الكلية قبل الجزئية، الجملة قبل الكلمة، والكلمة مع الحرف وهكذا.

11. النمو يتخذ اتجاهاً طولياً من الرأس الى القدمين (الرأسي الذنبي) :

على سبيل المثال تتكون وظائف الاجزاء العليا والاطراف العليا قبل السفلى، والاجزاء الاكثر اهمية قبل المهمة، ففي المرحلة الجنينية تتكون براعم اليدين قبل براعم الرجلين وتتكون ندبات لتشكل العينين والانف والفم والاذنين قبل ان تتكون الساقين، ونلاحظ ان طول رأس الجنين نصف طول جسمه في بدايات تكوينه وبعد الولادة ايضا يبدو الرأس نسبياً كبير بالقياسات وتقل نسبة طول الرأس الى الربع وهكذا الى أن يأخذ الحجم الطبيعي ، وهو يحرك رأسه قبل ان يتحكم بحركة يديه ورجليه.

12. النمو يتخذ اتجاهاً مستعرضاً من المحور الراسي للجسم الى الاطراف الخارجية:

ينمو الكائن العضوي مستعرضاً من الجذع الى الاطراف لذلك نرى اداء وظائف الوسطى تسبق الاجزاء البعيدة والاطراف. أي ان النمو المتعلق بأجهزة التنفس والهضم يسبق النمو الخاص بالأطراف مثل الذراعين والساقين. فنحن نرى ان الطفل يمسك القلم في بداية الامر براحة يده كلها قبل ان يمسكه بوضعه العادي بالأصابع وفي الشيخوخة يبدأ العكس.

13. النمو يمكن التنبؤ باتجاهه العام :

ان من اهم اهداف علم النفس هو إمكانية التنبؤ بالسلوك وإمكانية ضبطه فإن الدارس المطلع في علم نفس النمو يمكن له التنبؤ بالنمو وعلمياً نستعين بالاختبارات والمقاييس للتنبؤ بالنمو، فإن الاختبارات والمقاييس إذا كانت دقيقة وصادقة وثابتة تعطي مؤشرات موضوعية عن المستقبل في جميع الاتجاهات المعرفة والانفعالية وغير ذلك.